على شكل قصص أو حكايات الحيوان أو حكم ساخرة . قريبة فى كثير من صورها مما جاء فى التوراة والتلمود والإنجيل تمسّ الإنسانَ العادىَ أو الشعبَ التائه ، أو تتناولُ العتاةَ الجبابرة ، أو الكفار المردة أو الشياطين . تقصّ سيرة آدم وما وقع لولديه ونوح وابنه ، والسيدّ المسيح وموقف الكفار منه ؛ وتلعنُ الشيطانَ وتصوّره فى أقبح حالاته ، فيقوم الهجاء على وصف بارع ساخر لعله من أروع الآداب الدينية والإنسانية على مرّ العصور .

وفى العصور الوسطى ، كما فى العصور الحديثة ، برع الهجاء عند مختلف الأمم فى فرنسة وإنكلترة وإسبانية وألمانيا وإيطاليا ، فى مسرحيات وقصص وقصائد يُعيينا تحليلها فى كتاب صغير وجيز . ولو قد فعلنا لظهر أن الأدب الإنسانى متشابه فى الأقطار ، وأن العقل والخيال والشعور متقاربة عند بنى الإنسان يتناولون المعنى على بُعد الدار وتقلّب الأزمان فيقع الحافرُ على الحافر ، وتتشابه الخواطر ، وليس العرب بمعزل عن هذه القوالب وهذه الصور . فهم كذلك أدباء إنسانيون اشتهروا بفنون الأدب الغنائى كما اشتهر غيرهم سواء بسواء .

٢ ــ الهجاء فى الأدب العربى

عاش العرب فى جزيرتهم الأولى على شكل ابتدائى فيما يبدو ، فقد عرض الباحثون لطبيعة العبث والنهب والسلب وركوب الأخطار . وصوّروا العربى فى صفات لا تعلق إلا بالقساة والمتوحشين [1] ورأوا أنهم كانوا يتنافسون على الرياسة ، وأنه قلما يُسلمُ واحدٌ منهم الأمرَ لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته ، فتعدّد الحكام والأمراء . ويضيف ابن خلدون أن العرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبُعد الهمّة والمنافسة . وانتهى غيرُه إلى أن العربى يثور على كل سلطة تُحاول أن تحدّد من حريته ولو كانت فى مصلحته . فهو ديمقراطى مسرفٌ فى الديمقراطية إلى حدّ بعيد ، وهو عصبى المزاج ، سريع الغضب يهيج للشىء التافه ، ثم لا يقف فى هياجه عند

---

(١) لخص المرحوم أحمد أمين آراء النقاد فى كتابه فجر الإسلام ، ١/٤٦ وما تليها .